منافع الإبل

تمثل الإبل قيمة اقتصادية كبرى في القديم والحديث. فهي بجانب استخداماتها المتعددة سواء في القوافل أو الحروب أو السني، ظلت تقدم فائدة اقتصادية لا تنكر، حيث يستفيد المجتمع بحليبها ولحمها ووبرها وجلدها، فضلاً عن أنها تجارة رابحة لمن يربونها للتجارة فيها. ونتحدث في هذا الفصل عن منافع الإبل وأهميتها الاقتصادية.

حليبها

يُعتَبر الحليب أهم منتجات الإبل، وهو يستخدم في تغذية مختلف فئات البدو والفَلاّحين، وتعتمد عليه شعوب آسيا الوسطى اعتماداً كبيراً في تغذيتها، وهو لا يقل جودة عن حليب الأبقار إن لم يفضله في بعض النواحي. وكان الغذاء الرئيسي للعربي على مرَّ الأزمان.

العوامل المؤثرة في إنتاج الحليب. يتكون ضرع الناقة من شقين، يسمى الأمامي منهما مقاديم، والخلفي مواخير، وعند البادية تسمى فتحة الحلمة السمه. ويترك عادة أحد هذين القسمين للحوار إذا كانت الناقة مرضعاً، ويحلب القسم الآخر. ويتصل الضرع بالجدار البطني للناقة بواسطة غشاء سميك، ويربط الحلمات الأربع للضرع نسيج رابط. أما الحلمة فتتركب من قناة الحلمة التي تحاط بعضلة قابضة تعمل على حفظ الحليب المخزون فيها من التسرب للخارج، وتنتهي قناة الحلمة من الخارج بفتحة الحلمة ومن داخل الضرع بحوضها. ويتصل حوض الحلمة بمركز تجمع اللبن، الذي يعرف بحوض الغدة، ويكون مرتبطاً بقنوات اللبن حيث يتفرع إلى قنوات أصغر فأصغر، تعرف بالشعيرات اللبنية، وظيفتها نقل اللبن من البصيلات

ضرع الناقة، وقدتُركت المقاديم للحوار، والمواخير للحلب

(الغدد) اللبنية. ويمثل الغدد اللبنية زوجان، كل منهما عبارة عن تجويف مغلف بطبقة واحدة من الخلايا الغشائية رقيقة الجدر. وتحاط كل غدة أو بصيلة من الخارج بشعيرات دموية وأوعية ليمفاوية وظيفتها استخلاص مكونات اللبن من الدم واللمف وتوصيله إلى الخلايا الغشائية التي تتولى تكوين اللبن (الصانع ١٩٨٤: ١٥٣).

وتتم عملية الإدرار بتفاعل الهرمونات التي تفرزها الغدة النخامية (هيبوفيز) وأهمها هرمون أوكسيتوسين. ينقل هذا الهرمون في الدم ويصل إلى الضرع ليأمره بالانقباض، وبعملية الانقباض هذه يتصفى الحليب من الدم ويتجمع في خلايا الضرع وأقنيته الداخلية. فالحليب يتصفى من الدم، وكل ٥٠٠ ليتر من الدم الذي يسري في عروق وشرايين الضرع ينتج لتراً واحداً من الحليب.

إن عملية إدرار الحليب عملية دقيقة ومعقدة، وهي تتأثر بعوامل عديدة ومتداخلة. ويجدر الانتباه خلال عملية الحلب إلى اتباع الطرق السليمة مما يساعد في إدرار الحليب، والمحافظة على النظافة التامة للوقاية من الأمراض أو الالتهابات التي تصيب الضرع.

ويعد الحليب الإفراز الطبيعي للغدة اللبنية، وقد هيأه الله سبحانه وتعالى

ليلائم احتياجات المولود الجديد بما يحتويه من مركبات ضرورية لازمة لنموه. والإبل من الحيوانات التي تدر كميات كبيرة من اللبن زائدة عن حاجة وليدها، مما أعطى الإنسان إمكانية للاستفادة منه في الغذاء.

وتشير بعض الدراسات إلى أن متوسط إنتاج الناقة من اللبن في اليوم يتراوح ما بين ١٥ و ٤٠ كجم ويكون الإنتاج عاليا في الأسابيع العشرة الأولى بعد الولادة حيث يبدأ بعد ذلك في الانخفاض بسرعة، وتبلغ أطول فترة للإدرار في المتوسط اثنيْ عشر شهراً وتختلف هذه المدة باختلاف الرعاية والتغذية اللتين تؤثران في الإنتاج الكلي للموسم، ويتراوح إنتاج الموسم حسب ما ورد في التقارير البحثية من ١٠٠٠ كجم إلى أكثر من ٣٥٠٠ كجم في بعض المناطق.

تختلف القدرة الإنتاجية للحليب من ناقة إلى أخرى بسبب عوامل عديدة منها نوع الإبل والعوامل الوراثية، إذ يلعب هذا العامل دوراً أساسياً في قدرة الناقة الإنتاجية. فبعض السلالات تدر إدراراً عالياً يفيض عن حاجة ولدها، فيستخدم حليبها في التغذية على نطاق واسع. والبعض الآخر يدر حليباً يشبع المولود فقط ونادراً ما يزيد عن حاجته بعض الشيء. والمعروف أن المجاهيم والآركيات

المجاهيم من أكثر السلالات إنتاجاً للحليب

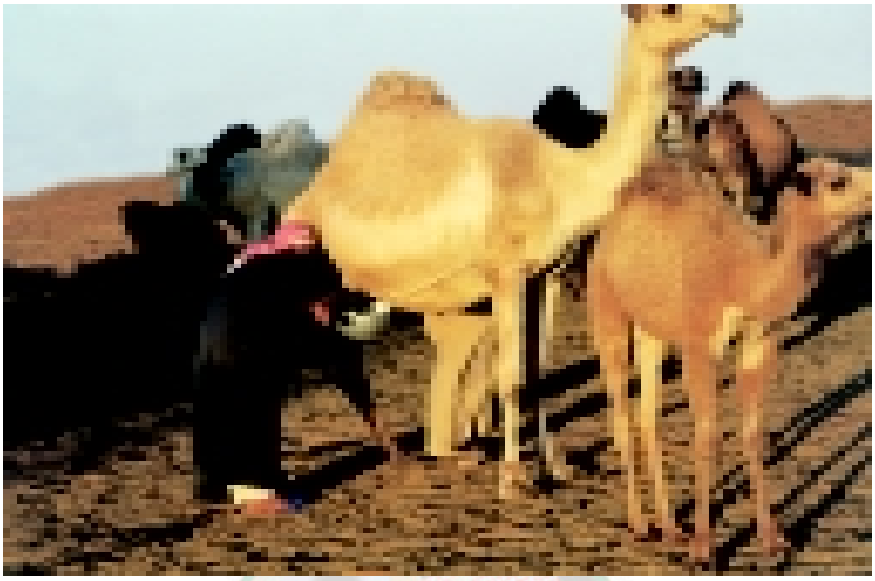

الآركيات من السلالات المعروفة بإنتاج الحليب

التي ترعى شجر الأراك من الحمر هي الأكثر حليباً.

ومن أهم العوامل المؤثرة على إنتاج الحليب في النوق عامل التغذية. فالغذاء الكافي كمّاً ونوعاً يزيد من إنتاج الحليب ويؤثر على نوعيته، فيزيد من احتوائه على البروتينات والدهون والعناصر المعدنية. ويؤثر سوء تغذية الناقة بشكل واضح على حليبها، كما يؤدي إلى حدوث أمراض عديدة أهمها الأنيميا أو فقر الدم، إذ تضطر الناقة اللبون أن تعطي من مخزون جسمها من البروتينات والعناصر المعدنية كالكالسيوم والفوسفور إذا لم تتوافر هذه الأخيرة في أعلافها. ففي الفترات التي تتوافر فيها المراعي الطبيعية في البادية يرتفع إنتاج الحليب عكس فترات الجفاف حيث تقل كميته.

وتعتمد كمية اللبن على المرعى ونوعيته. ومن أقوالهم «لا آتيك ما اختلفت الجرة والدرة» وفي المثل «الدرّه من الجرّه»، ويعني هذا المثل أن كثرة اللبن هو من الجرة (اجترار البعير) أي من العلف الذي يأكله (الشراري ١٤١٢: ١٠٥).

يزداد الحليب في الربيع لتوفر المراعي الطبيعية

والحالة الصحية أيضاً عامل مهم مساعد على إنتاج الحليب. فالمرض يحد من إدرار الحليب ويؤدي في معظم الأحيان إلى توقف كلي للإنتاج. كما أن المرض يؤثر سلباً على نوعية الحليب فيصبح غير مرغوب فيه وقد لا يصلح للاستهلاك الإنساني، ولذلك تجدر العناية بصحة الإبل والاهتمام بها لوقايتها من الأمراض التي قد تفتك بها وتؤدي إلى هلاكها. وتعد الحالة النفسية للناقة عاملاً مهماً يتوقف عليه إدرار الكمية الوافرة من الحليب، حيث يقل حليبها إن لم تكن مرتاحة نفسياً، ولذلك قالت العرب في أمثالها «المَغْصوبه ما بها لبن». كما أن العمل الشاق والمرهق يؤدي إلى خفض حاد في إنتاج الحليب. وإذا استمر الإرهاق في العمل فقد تتدهور صحة الناقة اللبون، ويتوقف إدرار الحليب كلياً قبل أوانه.

ويعتمد إنتاج الحليب على فصل السنة، فإذا تمت الولادة في الفصل الذي تتوافر فيه الأعلاف ارتفعت نسبة إنتاج الحليب، والعكس صحيح. وكذلك فترة موسم الحلب إذ تزداد كمية الحليب التي تدرها الناقة إذا طال موسم الحلب. ويتراوح طول هذه الفترة من ١٠-١٦ شهراً، وهذا نادراً ما يحدث، حيث أن كمية الحليب تأخذ في الانخفاض وتزداد نسبة الأملاح ابتداء من الشهر الثامن للولادة، فإذا حصل الحمل باكراً بعد الولادة، قصر موسم الحلب وقلّ إنتاج الحليب. ومن الطبيعي أن يخف هذا الإنتاج وأن تتوقف الناقة كلياً عن الإدرار في المرحلة الأخيرة من الحمل وقبل الولادة بشهرين لتؤمن الغذاء الكافي والنمو الطبيعي لجنينها، دون أن يؤثر ذلك على صحتها بشكل عام وعلى مستقبلها الإنتاجي، وتقول عنها البادية «غرزت». كما أن الحوار الذي يولد من ناقة مدرار تستمر في إدرار الحليب حتى فترة متقدمة من الحمل، يولد ضعيفاً هزيلاً ويتأخر نموه وقد ينفق أحياناً أثناء عملية الولادة أو بعد ولادته بقليل.

ويقول الشراري إن أقل فترة لإنتاج الإبل للحليب هو فصل الصفري (الخريف) ولذلك قالوا «صافرت الإبل فقل لبنها» لأنهم يخشون من شرب لبن الناقة التي لا تحلب يومياً، وتسمى المَحْيّنه إذ يعتقدون أنه يسبب أمراضاً للإنسان ومنها المرض الذي يسمونه الكلبه، لذا فهم يقومون بغليه على النار قبل شربه ويسمونه في هذه الحالة وغيرهْ أو طيوشْ أو مفَوَّحْ.

الإبساس عند الحلب

وإذا أرادوا حلب الناقة استعملوا الإبساس، وهو دعوة الناقة للحلب يقال لها «بس، بس» وهو صوت الراعي لتسكين الناقة عند حلبها، وناقة بسوس تدر عند الإبساس، وقيل أيضاً الإبساس هو مسح ضرع الناقة لتسكن وتدر وهو المرا والمري.

وعند حلب الناقة لا بد أن يكون رضيعها بجانبها حتى لا تمتنع عن الإدرار، إلا إذا كانت مسوحْ أو مريْ، وغالباً ما يحلب نصف الضرع، ويترك النصف الآخر ليرضعه الحوار. وأكثر النوق لا يمكن حلبها دون أن يبدأ حوارها بلهج ضرعها، فهي ترفض أن تدر الحليب (تعطف) ما لم يكن حوارها هو البادئ. وقد يكون في حكم النادر وجود تلك الناقة التي تعطف بمجرد أن يمسح من تعرفه على ضرعها، وهي التي تسمى مريْ أو مسوحْ. وقليل من النوق تعطف لكل من مسح على ضرعها بيده عدة مرات. وإذا ارتفع الحليب من ضرع الناقة بعد إدرارها، تقول البادية «غارت» أو «خالفت» ويحدث ذلك قبل بدء عملية الحلب أو بعد ابتدائها بقليل. أما إذا كانت الناقة لا تحلب إلا بعد شد فخذيها بحبل قوي فتقول عنها البادية «نحوس».

عندما يلهج الحوار الضرع تدر الناقة

وإذا أراد أهل البادية حلب الناقة قربوا حوارها منها، فتعطف وتحن عليه وتدر لبنها، فإذا غـارت (خالفت) عند بداية الحلب، فإنهم يتركونها فترة مـن الزمن ثم يقربون حوارها منها مرة أخرى لتعطف عليه، فإذا عطفت وحلبت قالت البادية «فاقت الناقه» وسمي حليبها فُوَاقْ وجمعه أفاويق. وإذا حُلبت الناقة صباحاً، سمِّي حليبها صـبوحْ وإذا حلبت مساءً سمِّي غبوقْ، وهنـاك من أهل البادية مـن إذا سرحت إبلهم صباحاً من دون حلبها ثم أعادوها وقت الضحى للحلب، يسمون هذه الحلبة الفايه. ولكن أكثر أهل البادية يطلقون الـفايه على حلبة الغـنم فقط، وربما أجاز بعضهم تـسمية الفايه إذا لم تحلب صباحاً ثم حلبت عند الـضحى. أما إذا حلبت صباحاً ثم حلبت مرة أخرى فتسمى العلاله، وهي من العل أو العلل وهو الـشرب مرة أخـرى بعد الـشربة الأولى.

ويتميز حليـب الإبل بلونه الأبيض الطبـاشيري، وطعـمه ورائحتـه الحلوة الخفيفة، وقد يكون له طعم ملحي واضح حسب نوعية المرعى أو زمن الحلب منذ الولادة، فكلما طالت المدة أو تقدم العمر زادت نسبة الملوحة خاصة عندما تكـون الناقة عشراء. كما تعتـمد الملوحة أيضاً على عمر الناقة المنتجة، والوقت، وزمن

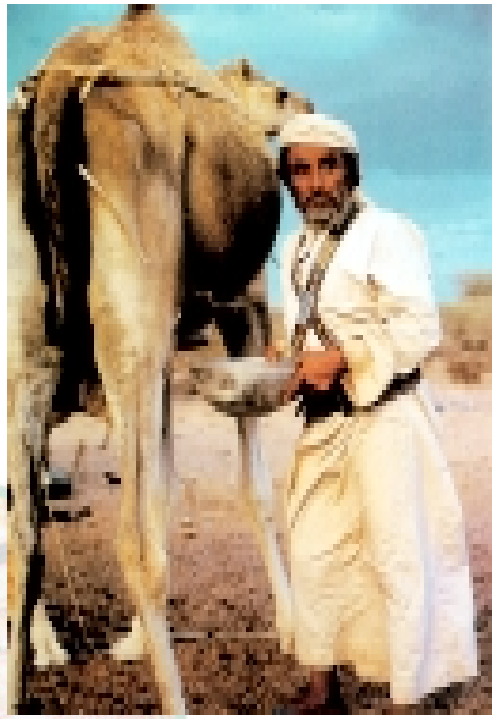

عند الحلب يقرب الحوار لتعطف عليه أمه وتدِر

الإدرار. ويكون حليب البكر التي تلد لأول مرة ألذّ طعماً من حليب الفاطر (أي التي فطر نابها).

إن لون لبن الإبل وشكله واحد ولكنه يختلف في طعمه فأول اللبن يسمى السويدا، ثم الصحفه ويكون أصفر ويقال له اللبا (لبته) وهذا يكون بعد ولادة الناقة مباشرة.

وهناك عدة أسماء لحليب الإبل؛ فالرِّسل والدرة الحليب، والمحض هو الحليب الخالص (أي لم يخلط معه شيء كالماء مثلاً). وفيه يقولون «شربة محض» أي حليب خالص، ويقولون أيضا «امحضني إياه». والعسال هو الحليب الحلو المذاق. وفي المثل قولهم «حلو لبنهن حاضر راعيهن». والضيح هو الحليب الرقيق (الخفيف) الممزوج بماء كثير، وهو المذق أيضاً، والعبيلة حليب يضاف إليه مرق اللحم، والقافي هو حليب الناقة بعد اللباء (قافيه: أي يقفوه ويتبعه).

ويقولون: مهج اللبن أي فسد، وذلك عندما ترعى الإبل الوخيم من المرعى (غير النظيف). والمالح هو حليب الإبل عند لقاحها. والمجروط هو الحليب المتغير الطعم الناتج عن السقاء الذي لم يدبغ أو يصان وينظف، ولتجنب حدوث هذا الطعم يقومون بدبغ السقاء بدباغ أشجار الأرطى أو القرظ أو الشث. وحليب الناقة يمكث مدة طويلة قد تصل إلى أربع وعشرين ساعة، إذا وضع في صميل دون أن يتعفن أو يتخثر.

ويسمون السمن الذي يستخرج من حليب الإبل جبابْ، وهو ما اجتمع من حليب الإبل فيصير كأنه زبد يدخل مع القارص وإذا زادت حموضته ظهرت الجباب. أما الجبن فإنه يصنع من الحليب بعد غليه، وذلك بخلطه بقطرات من حليب شجر العشر أو حليب شجر

الحماط، أو من المعصرة أو الجعدود أو المجبنة، وهي حليب يكون عادة في كرش جفر صغير يشبع بالحليب بعد ولادته مباشرة، ثم يذبح ويستخلص الحليب الموجود في كرشه قبل تحلله، ويحفظ بطريقة خاصة تعرفها البادية، حيث توضع كمية قليلة منه مع الحليب فيصير جبناً. أما الآن فتباع أقراص صغيرة مصنعة لعمل الجبن.

وإذا زاد الحليب عن حاجتهم صبوه على حامض حتى يروب فيشربونه خالصاً بعد جدحه أو يضيفون إليه الماء، ويطلقون عليه عدة أسماء، منها الشنينه، وهي الحليب الحامض مضافاً إليه الماء، ويفضلون شربه عند العطش. وهناك من يسميه شهاله، أو قريعة أو نسيئة، فإذا أضافوا إليه ماء كثيراً فهو الشهابه؛ والشهبة لون بياض يصدعه (يخالطه) سواد، والشهابة ثلث حليب وثلثان ماء، ولا يستحب تقديم الشهابة للضيوف. والطعام عندهم هو الحليب الحامض يضاف إليه حليب خالص ليعطي نكهة خاصة المذاق. وإذا أضيف إليه السمن أصبح وجبة كاملة عند البادية. أما الرثيئة فهي الحليب الحامض مضافاً إليه الحليب الخالص، ويقال الرثيئة أن تحلب حليبا على حامض فيروب ويغلظ فتجدحه بالمجدحة (تخلطه) حتى يغلظ. وفي المثل «الرثيئة تفثأُ الغضب» (أي تهدئ الأعصاب)، ويقال إن سبب هذا المثل أن رجلا غضب على أهله فسقوه الرثيئة فسكن غضبه. والبدو يسقون الجمل الهائج الرثيئة فيهدأ. والقارص هو الحامض من حليب الإبل والذي يوضع بعد حلبه في السقاء ويكون فيه شيء من الحموضة المرغوبة، ويقال له أيضا المقرص. ومن الأمثال «عدا القارص فحرز» والقارص هو الذي يحذي (يؤلم) اللسان لحموضته. أما الحليب المتناهي في الحموضة فهو الحارز.

مكونات حليب النوق وفوائده. ذكر أن حليب النياق يحتوي على كمية كبيرة من فيتامين ج، إضافة إلى أن محتواه من المواد الدهنية والبروتينية والمعدنية أكثر من تلك الموجودة في لبن البقر والغنم. ولقد أعطى العلماء تحليلاً نسبياً لمكونات لبن النياق؛ فهو يحتوي على ٢,٩٠٪ دهون، ٣,٦٦٪ بروتينات، ٥,٧٨٪ سكر اللاكتوز، ٠,٦٦٪ أملاح معدنية، ٨٩٪ ماء.

ويوضح الجدول التالي صفات وتركيب ألبان إبل ترعى في مناطق مختلفة طبقاً لما أورده الصانع (١٩٨٤م).

مصدر الجمال	المكونات الرئيسية (٪)						مكونات أخرى ملجم/ ١٠٠جم	الكثافة النوعية جم/ سم٣
	الدهون	البروتين	الرطوبة	الرماد	سكر لاكتوز	كلوريد صوديوم		
نوق تعيش في صحراء الكويت ١٩٧٦	٥,٤٠	٣,٨٢	-	-	-	-	-	١,٠٢٨
نوق تعيش في صحراء الكويت ١٩٧٨	٣,٩٠	٢,٧٠	-	-	-	-	-	١,٠٢٢
نوق تعيش في صحراء السعودية	٢,٠ إلى ٦,١٠	٢,٤٨ إلى ٣,٩٩	٨٥,٦٠ إلى ٨٩,٩٤	١,٠٢	٣,٠٠ إلى ٣,٩٩	٠,٦٦		٨١,٠٢ ٣٨١,٠
نوق وحيدة السنام تعيش في صحاري أفريقيا وأثيوبيا والصومال	٥,٥	٤,٥	٨٥,٦	٠,٩	٣,٤٠		كالسيوم ٤٠ فوسفور ١٣٨ ٠,٥ حديد ٠,٠٦ ف ب (١) ٠,٠٦ ف ب (٢) ٢,٣ ف جـ	

ويتضح مما سبق الاختلافات في مكونات لبن النياق من مكان لآخر، وهذا يوضح تأثير نوعية ما ترعاه الإبل من الأعشاب والحشائش والأشجار المختلفة على محتويات ألبانها.

إن لبن الإبل يعد الغذاء الرئيسي لبدو الصحراء، وهو اللبن المحبب لديهم، وهم يشربونه طازجاً في غالب الأحيان. ومن أمثال الشرارات التي تعبر عن حبهم للبن الإبل قولهم «ضروة لبن ما ني فطيمٍ على الزاد» والمعنى هو أنني متعود على شرب لبن الإبل ولست ممنوعاً من الأكل والطعام. ويقال إنّ الطفل إذا فطم على نوع من الغذاء فإنه لا يفضل عليه غيره من الأغذية على الإطلاق، وأن الغذاء الذي فطم عليه الطفل يبقى مفيداً له حتى في كِبره لذلك فهو يقول إنه فُطم على اللبن ولا يفضل عليه غيره (١٤١٢: ١٠٨).

وتشتهر كثير من القبائل العربية في الماضي والحاضر بتقديمها حليب الإبل مع التمر لضيوفها وزوارها. ويعتبر اللبن

من أهم الأغذية التي تقدم لإكرام الضيف وقد يغني اللبن عن غيره من الولائم، فإذا وضع السمن على حليب الإبل فإنه يكفي في الكرم لمن لا يستطيع أن يذبح لضيفه. ويقولون في وصف اللبن «يدخل ولا يدخل عليه» أي إذا شربت لبن الإبل لا تدخل عليه شيئاً آخر (أي لا تأكل ولا تشرب بعده شيئاً). ومن أمثالهم في ألبان الإبل قولهم «قرطوع يطرد الظما والجوع» ويعني هذا المثل أن شرب مقدار معين من لبن الإبل يطرد ويبعد الظمأ والجوع عن الشارب. واللبن لدى البادية دليل على الكرم حيث يقولون عنه «المشبع المروي المقيت» أي أن فيه غناء عن الماء فهو يروي وعن القوت (الطعام) فهو يشبع. وعند تقديم اللبن أو غيره يقولون «عطه در واكفه الشر»، ويقولون أيضا «اللبن مقطع الشهوات» أي أن من شربه لا يرغب بشرب أو أكل بعده (الشراري ١٤١٢: ١٠٦-١٠٧).

ويعتبر البدو حليب الإبل مصدراً لجلب الصحة ووقايتهم من العلل، وذلك لما يمثله من مكون رئيسي في غذائهم اليومي (الشراري ١٤١٢: ١٠١). ولقد أثبتت البحوث الطبية أن لبن الناقة ذو مفعول جيد في معالجة النزلات المعوية، والسل، ويستخدم لبن النياق بكثرة في مجال الطب. وفي الآونة الأخيرة شاع استخدام حليب الإبل في علاج بعض الأمراض، خاصة المعوية، اعتماداً على ما جرى عليه من أبحاث علمية موثقة. إضافة لذلك فقد كان أفراد البادية وغيرهم، ولا يزالون، يعتقدون أن حليب الإبل له القدرة على شفاء بعض الأمراض، حتى قبل أن تثبته الأبحاث العلمية. ومن المتعارف عليه عند أهل الجزيرة أن أهل البادية إذا أحسوا بخمول في أجسامهم أو آلام في الأمعاء، فإنهم يشربون من أبوال وألبان الإبل، إذ يقومون بخلط بول البكرة التي لم تلقح مع حليب البكر ويطلقون على هذا الخليط المقشورةْ ويشربونه علاجاً لأكثر من علة. وحليب الإبل يطلق عليه عند أهل البادية اسم الدواء وفي هذا يقول أحدهم:

جينا صلاة الجمع والخيل ترزي
واقفوا على حمرٍ لبنهن يداوي

ومن الحداء قولهم:

حمراً لبنها حامي
يداوي عن الاوهامي

إضافة لذلك فإن كثيراً من الناس يعتقدون أن حليب الإبل جيد ضد السموم. وقد ذكر لنا أحد رجال الدواسر أنهم يعتقدون بأن شرب حليب الإبل له مفعول جيد ومقوٍّ للباه (الشراري

١٤١٢ : ١١٠). وحليب الناقة عقب ولادتها مباشرة يسمى السويداء، ولا يشرب لأنه يسبب إسهالاً شديداً، ولكن يمكن غليه واستخراج اللبأ منه، كما تقدم، وحينئذٍ فإنه لا يضر.

النوق الخلفات ونعوتها. أطلقت العرب على النوق الحلوبة أسماء وصفات، من أشهرها الخلفه (جمعها خلفات)، وسموها بذلك لأنها خلفت ولدها، أي ولدت حديثا، ويقال لها خلفه حتى تمضي ستة أشهر من ولادتها فهي عند ذلك عُشَرا، فإذا لقحت سميت مُعَشّرْ، فإذا تبين لقاحها وكبر بطنها سميت لُقَحه. ومن صفات الخلفات سماحة الطبع والهدوء وضخامة الجسم وسماحة الوجه وكبر الضرع، ومعظمها ملحاء (سوداء) وتوجد في جنوب المملكة العربية السعودية أكثر مما هي موجودة في الشمال (الحبردي ١٤٠٩ :٤٦-٤٧).

ومن نعوت الناقة الحلوب أيضاً الدحور، وهي الناقة الكثيرة اللبن، ومن أمثال الشرارات «ناقة دحور» و«دحور العيله (الأسرة)» وهي الخلية، وكذلك المُجَمّعه فلا يجمع إلا بها لكثرة لبنها وهي التي تُحلب للبيت من النوق، وتكون من أكثر الإبل لبناً، وهم ينحرون حوارها ويضيرونها على حوار ثان لتدر عليه، وتسمى أم الحوار الثاني بسوطْ، ومن هنا فإن الناقة المُجَمّعه لا يذوقها (يرضعها) حوارها. ويذكر الشراري أنه إذا عطفت اثنتان من النوق على حوار واحد فرئمته كلتاهما فغذي بواحدة والأخرى بقيت لأهل البيت فواحدة منهما الخليه والأخرى بسوط وجمعها بسط. ومن أقوالهم «راعي البلْ عنده طخاة» والطخاة هي السحابة المثقلة بالماء. ومنها أيضا «عنده دحور وبسوط» وذلك لكثرة اللبن عنده، والدحور مشتقة من الدحر وهو ذبح فصيلها، وهي الخلية في اللغة.

والحشود هي السريعة جمع اللبن، والحفول الناقة التي احتفل لبنها في ضرعها وتجمَّع، وناقة حلباة ركباة أي ذات لبن تحلب وتركب، وتقول البادية «محلابه مركابه». والمُحَيّنه هي الناقة التي تُحلب ثم يترك حلبها في موعدها المعتاد مرة أو مرتين ليتجمع اللبن في ضرعها. وهناك من يلجأ إلى تحيين الناقة عندما يريد جلبها في السوق للبيع، لكي ينخدع المشتري بحجم الضرع ووفرة حليبها فيقبل على شرائها. والضرع المحتقن عندهم محمود وهو الواسع الفسيح ويستعملون في ذلك التصرية وهي ألاّ تحلب الناقة حتى يجتمع اللبن في ضرعها، فهي صراء وصرية ومُصرَّاة،

وهي «المْحَيّنه»، ويسمون شدة الدرّة في الضرع الحشك.

ورد في كتاب نظام الغريب في اللغة أن الخور هي أغزر الإبل لبناً. وإبل حافلة إذا اجتمعت ألبانها في ضروعها، وضرع حافل أي مجتمع اللبن. ويقال ضرع حاشك أي ممتلئ. والفيقة اللبن المجتمع في الضرع، وفواق الناقة بداية الحلب، أي الشخبات الأولى من الحليب، والتفوق الاحتلاب، وتَفَوَّقْتُ الناقة إذا حلبتها حيناً بعد حين. والغبر ما يبقى في الضرع من اللبن (الربعي ١٤٠٠: ١٧٦).

والخرخوب الناقة الخوارة الكثيرة اللبن في سرعة انقطاع، وهي قصيرة الوبر ورهيفة الجلد. والخرخر الناقة الغزيرة، والخنجرة والخنجور الناقة الغزيرة اللبن، وناقة درور كثيرة اللبن، ومثلها ناقة صفيّ، والعتوم الناقة الغزيرة الدر. والغزيرة أيضاً من الإبل هي الكثيرة الدر. وناقة لهوم غزيرة اللبن. وناقة وكوف غزيرة الحليب.

أما قلة اللبن في الناقة فيسمونها الطلل، وغرزت الناقة فهي غارز إذا توقفت عن إدرار اللبن للقاحها. والناقة الذعور هي التي إذا مس ضرعها غارت بلبنها وتسميها البادية نحوسْ. ويسمون ذهاب اللبن التجنيب، وكثرته التيسير.

والإبل بكافة أنواعها الثلاثة: المجاهيم والحمر والمغاتير يأتي منها خُور، وعِرْب، والخوارة تكون أرق جلداً وأقصر وبراً، وأكثر حليباً، وأقل قدرةً على تحمل البرد من العِرْب. أما العِرْب، فعلى العكس من ذلك تكون طويلة الوبر، سميكة الجلد، قليلة الحليب، تتحمل البرد، قال الشاعر:

ريق ساره مثل شكْرٍ في غضاره
أو حليب نياق عرْبٍ مسمنات

وقد يدل هذا البيت على أن حليبها ألذ من حليب أنواع الإبل الأخرى.

والمتالي هي النوق التي تتلوها حيرانها، وكذلك النياق التي تلد متأخرة. قال شاعر من الشرارات:

عسى الحيا يسقي بلاد الشرارات
اللي قهاويهم حليب المتالي

ومن أهازيج الموارد قولهم:

الخوارات المتالي
صبحن الجو خالي

والعصوب هي الناقة التي لا تدر لبنها حتى تعصب (تربط) فخذاها، أما العضوض فهي الناقة التي تعض حالبها، وتذب (تدافع) عن ولدها، واللفوخ أو الرموح هي الناقة التي تضرب برجلها ويطلق على هذه جميعها اسم النحوس. أما الهدية (الهادئة) فهي الناقة التي لا

ترفع رجلها ولا تتسبب في نثر اللبن. والمسوح، كما تقدم، هي الناقة التي تخصص للحليب لموت فصيلها من مرض ونحوه وتدر بمجرد أن يمسح (يلمس) ضرعها، وهي سهلة الحلب. ومن ذلك قولهم «تمسحت ثفنتها» والثفنة من البعير والناقة ما مس الأرض من أصول أفخاذه والتفنة هي كل ما جف من الجلد، ومن حدائهم قولهم:

لا تضرب المسوحِ
لي ياسنايد روحي

أما المُسُح فهي الإبل التي يدر حليبها، وهي غير التي يرضعها ولدها.

والخفوت هي الناقة التي مات حوارها ولم تحلب، أما الحيول فهي الناقة التي تحلب على مدار العام ولا تسمى حيولا إلا بعد انقضاء سنة كاملة على حلبها المستمر، أما ما قبل ذلك فتسمى عشراء. والعصوص (العزوز) هي الناقة صعبة الحلب لصعوبة نزول الحليب من خِلْفها (ضرعها) لعيب في الثدي أو بسبب نوعيتها وتسميها البادية نحوسْ. ويطلقون على النياق التي يصعب حلبها «إبل قحص وعصص»، وفي اللغة إذا ضجرت الناقة عند الحلب قيل ناقة عصوص وهو من سوء خُلقها. وإذا صعب خلف الناقة (إذا لم يخرج منه الحليب بسهولة) قيل عصوص أو فيها سدد في الضرع. ويقال الناقةْ مسدد من الشحم، وهي الناقة العدلة السمينة من كثرة الشحم إذا ولدت خلفة لا يخرج لبنها كله، ولو نزل (ذهب) نصف الشحم لا يأتي لبنها كله لذلك تتوقف كمية اللبن على كمية الشحم في الناقة. وإذا اتسع شجنها قيل للناقة شجنها هش، ويقال ناقة هشوش لاتساع شجنها حيث يتذارع (ينزل) منها اللبن إذا رعت فشبعت من المرعى. والناقة الهشوش هي التي يكون جلد ضرعها (خلفها) رقيقاً كثير اللبن.

والصعود هي الناقة التي تلد قبل موعدها ويقال لها «أصعدت ومصعدهْ»، أي رمت جنينها من بطنها قبل أن يظهر عليه الغزْل. وتزيد مدة لقاحها على نصف السنة وتقصر عن وطاها (وقت ولادتها) ويسمون الولادة في هذه الحالة قبل أن يظهر عليه الغزل الإغراق. وفي هذه الحالة فإن الناقة تدر على ولدها الذي رمته فيقولون «أصعدت عليه» أي درت فتسمى صعودْ. ولا يكره الرعاة أن يكون في إبلهم صعائد لذا فهم يمنعون ولدها من رضاعتها ليحلبوها لأنفسهم لأنها ولدت قبل الخلفات. كذلك عندما يقل لبن

العشائر في الصفري (الخريف) يوصف لبن الصعود بأنه طيب الطعم حسن المذاق؛ ومن حدائهم قولهم:

بشر الصعودِ
على الحماد رْعودي

ومن أمثال العرب قولهم «أكلكم فليحتلب صعوداً».

وأما الخلية فهي الناقة التي تلد فينحر ولدها ليدوم لهم لبنها، والعقود الناقة يموت حوارها فتعطف على فصيلها وتسمى مكوخره في بعض المناطق. والخلوج الناقة التي جذب (سحب) وأبعد عنها ولدها بذبح أو موت فحنت عليه، والناقة الخلوج تظل تطاول مراحها ومعزابها ومرضاعها له وتظل تحن وتمشي بين الغريب والسرح والورد، وتمر بجميع الأماكن التي مر عليها ولدها، وعندما تتعب تيأس وتنساه (تعزاه). وقد ضربت بالناقة الخلوج الأمثال الكثيرة في كثير من أشعار الشعراء الشعبيين مثالاً لشدة الحنين والشوق والحزن. والأباكير هي الإبل التي تلد لأول مرة ومن طيب لبنها وجودته وحسن طعمه قالوا في الأمثال «لبن بكر».

ويعتقد العرب أن لبن الأبكار أطيب الألبان وهو لبنها لأول بطن وضعت، فهو أحلى من حليب الفطَّرْ، قال أبو ذؤيب الهذلي:

مطافيل أبكار حديث نتاجها
تشاب بماء مثل ماء المفاصل

يقول الأصمعي في معنى هذا البيت إن أبا ذؤيب إنما عنى بقوله «مطافيل أبكار» أن لبن الأبكار أطيب الألبان وهو لبنها لأول بطن وضعت.

وقالت العرب أيضا «مانحت الناقة» إذا درت الحليب للشرب. والناقة المنيح أو المنيحة أي التي خصصت للحلب وجمعها منايح. وفي هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

مباركة كانت عطاء مباركاً
تمانح كبراها وتنمي صغارها

أما الصفي فهي الناقة الغزيرة اللبن يقول دريد بن الصمة:

ألا هل أتاه ما ركبنا سراتهم
وما قد عقرنا من صفي ومن قرم

وقالوا أيضا ناقة شطور وهي التي يبس أحد ضرعيها. يقول أبو تمام:

حيث لبون النوال تهمي
غير شطور ولا ثلوث

يهمي: يسيل، والثلوث: الناقة التي يبس لها ثلاثة أخلاف. وقد تسمى رَجْما، وهي التي في خلفها (ضرعها) أو خلفيها أو ثلاثة من أخلافها عيب.

وتقول العرب: حارت الإبل إذا انقطعت ألبانها، وتقول البادية غرزت.

أما الجماد من النوق فهي الناقة التي لا لبن فيها، والشول هي التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم ولادتها أو ثمانية أشهر فلم يبق في ضرعها إلا شول من اللبن (مقدار ثلث ما كانت تحلبه حين ولادتها) أو التي تشوّل بأذنابها أي ترفعها إلى أعلى إذا لقحت (عشرت).

ولإدرار اللبن عند الإبل في حالة موت الفصيل عدة طرق عند البادية، منها اتخاذ البو، وعمل الظئار. ولا يعمل الظئار والغمائم إلا للناقة التي تظأر على حوار آخر غير ولدها (الشراري ١٤١٢: ١٣١-١٣٩). والبو جلد حوار الناقة عندما يسلخ عنه عند ذبحه أو موته ويحشى بتبن أو غيره ويأخذ شكل الحوار فيوضع أمام الناقة فتدر عليه وتحلب لاعتقادها أن البو هو حوارها. وهذه الطريقة معروفة منذ القدم ومنذ أن استأنس العربي الإبل في الجزيرة العربية كما سبق أن أشرنا لذلك، ويلاحظ أن هذه الطريقة لا تزال تستخدم حتى أيامنا هذه. وقد ورد في التراث العربي قديمه وحديثه ذكر البو. ومن الأمثال العامية قولهم «بو يحلب على فِمه» ويقال أيضا «بوّه معلقٍ على جنبه».

لحومها

تعتبر الإبل مصدراً حيوياً ومهماً في المناطق القاحلة والمجدبة حيث لا تستطيع الحيوانات الأخرى العيش فيها. فإضافة إلى اتساع هذه المناطق وانتشارها فهي توجد في كثير من الأقطار الفقيرة، ومن هنا يمكن الاستفادة من الإبل ليس فقط للحليب والنقل في البر وإنما من لحمها أيضاً كمصدر غذاء لهذه البلدان الصحراوية الفقيرة.

وفي المملكة العربية السعودية قامت مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بطرح عدة مشاريع بحثية تتعلق بالإبل وألبانها ولحومها وتناسلها. ولا تزال هذه الأبحاث جارية حتى يومنا هذا.

يُعتبر لحم الإبل، بعد الحليب، أهم منافعها الاقتصادية نظراً إلى الكميات الكبيرة من اللحوم التي توفرها الإبل، مما يجعل تجارة الإبل بهدف ذبحها وتسويقها تجارة رابحة عند أربابها، خاصة في البلدان المنتجة لها مثل الصومال، والسودان، وموريتانيا، والبلدان المستهلكة لها مثل المملكة، ومصر، وليبيا.

عرف العرب لحم الإبل منذ القدم، وكانت أكثر اللحوم التي يأكلونها لحوم الإبل، حتى ظن بعضهم أن العرب هم وحدهم من يأكلون لحم الإبل، أو هم

أول من أكل لحم الإبل. غير أن البحوث التاريخية أثبتت أن أول من أكل لحم الإبل هم الهنود، ثم تبعهم الصينيون. وكان أبناء فارس يأكلون لحم الإبل في أعيادهم، ومثلهم الإغريق الذين كانوا يقدرون لحم الإبل، حتى إن شاعرهم الهزلي الشهير أرستوفان قال عن لحم الإبل «إنه يليق بموائد الملوك»، كما أن فيلسوفهم الكبير أرسطوطاليس كان يشيد بذكر الجمل ويثني على خصائصه، والرومان أكلوا لحم الإبل. وقد قدم الذواق اليوناني الشهير غافيوس أبيلوس طبقاً في إحدى ولائمه مؤلفاً من ألسنة العصافير وقوائم الجمال التي كانت تعتبر أطيب ما في لحمها. وفي عهد الإمبراطور الروماني غاليان Gallien (٢٣٥-٢٦٨م) كان لحم الإبل في مقدمة الأطعمة المفيدة للصحة. وعرف البربر الذين سيطروا على الإمبراطورية الرومانية أكل لحم الإبل من سكان أوروبا أنفسهم.

ولحم الإبل، خاصة الفتية منها، مناسب للوجبات التي يدخل فيها اللحم، سواء أكان مطبوخاً، أم مسلوقاً، أم مشوياً. وإذا ذُبحت الإبل في عمر ١-٣ سنوات فإن جودة لحومها لا تخفى. ويفضل أن تذبح الإبل المعدة للذبح في حدود الثلاث سنوات الأولى من عمرها حيث يكون متوسط وزنها ٣٠٠ كجم. وكلما كان عمرها صغيراً ارتفعت جودة لحومها. ويمكن استعمال الجمال حتى عمر الأربع سنوات لإنتاج اللحم الجيد عموماً. وبعد هذا العمر يصبح اللحم قاسياً وذا ألياف غليظة فيصعب شواؤه جيداً، أو إنضاجه عند الطبخ. ويبلغ وزن الجمل الحي حوالي ٣٠٠-٤٠٠ كجم عند عمر الأربع سنوات.

ويذكر الصانع أن لحوم الإبل تمتاز باحتوائها على أنسجة عضلية كبيرة، ومحتوى عال من الماء. ودهن الإبل أبيض، وطعم اللحم لذيذ، وهو من اللحوم الحمراء. وتعتبر لحوم الإبل شبيهة بلحوم الأبقار من حيث محتواها العام، فهي تحتوي من البروتين على نسبة من ٧٣,٢ إلى ٧٦,٤٪. كما أن لحم الإبل في عمر سنتين من أطيب اللحوم، وقد قال عنه أطباء العرب في التراث إن لحم الفصيل من ألذ اللحوم وأطيبها وأقواها غذاء، وهو لمن اعتاده بمنزلة لحم الضأن لا يضرهم البتة، ولا يولّد لهم داء، وإنما ذمه الأطباء لأهل الترف من أهل الحضر، وفيه قوة غير محمودة (ربما يقصدون الصفراء أو أن كرياته الدموية لها أنوية بخلاف كل الثدييات المعروفة) (١٩٨٤ : ١٦٦).

وذكر قدامة (١٩٨١) أن لحم الإبل أغلظ من سائر اللحوم الوحشية، ويزيد في شدة الجماع، ويصلح لأصحاب الكد الشديد، والرياضة المرهقة، وعرق النسا، ويزيد في شهوة الطعام، ويحسن أن يؤكل معه الفلفل والكمون والكراويا والخردل والخل.

ولحم الإبل أشد احمراراً من لحم البقر. وقد حرم في التوراة «وأما هذه من المجترات ومن ذوات الأظفار فلا تأكلوها. الجمل فإنه يجتر، ولكنه غير مشقوق الظفر، فهو رجس لكم» (سفر الأحبار ١١: ٤). وقد حلله الإسلام ﴿ياأيها الذين آمنوا، أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ (المائدة: ١). ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع، ومنها تأكلون﴾ (النحل: ٥). ﴿قل لا أجد في ما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير﴾ (الأنعام: ١٤٥).

ويسمي البدو لحم الإبل التي تذبح لحم الجزور. والجزور لفظ يطلق على الذكر والأنثى من الإبل التي لم تحمل الأثقال، ويكون لحمه رخصاً بعكس لحم البعير الذي يستخدم في الزراعة، والحصاد، وحمل الأثقال، وغير ذلك من الأعمال. ولا ألذ على قلب البدوي من نحر الجزور لضيفانه. ويكثر في الشعر العربي الفخر في التسابق إلى إطعام الضيفان بنحر الإبل لهم.

وقد ذكر بعض أفراد قبيلة الدواسر أنهم لا يأكلون لحم الحوار حديث الولادة، ولا يأكلون لحمه إلا بعد أن يبلغ عمره أربعة أشهر فما فوق. والحوار إذا ذبح بعد ولادته مباشرة يسمى مجروراً، ويؤكل لحمه بارداً.

وقد ورد ذكر لحوم الإبل وشحومها في بعض أقوال وأمثال وحداء سكان المملكة العربية السعودية، خصوصاً البادية وأهل القرى، ومن ذلك قولهم «طنخت الناقة» أي سمنت واشتد سمنها وطنخت من الشبع أي امتلأت. ويقال أيضا «أكترت الناقة» عظم كترها أي سنامها. ويقولون هذه الناقة كوماء أي عظيمة السنام قد تكوم (تجمع) شحمها في سنامها وتعاظم، ويقال جب (قطع) سنام البعير أي استأصله من أصله. ويقولون للناقة المذبوحة الجزور، فيقال: جزر (قطع) الجزار الجزور. ويقال أيضا: هذه الإبل قد ملأ دفوفها (جنوبها) الشحم، أي أجنابها وسنمها (السويداء ١٤٠٧).

وذكر الشراري أنهم يقولون للناقة التي ليس لها سنام عراء. ويقال للناقة التي تحمل سناماً كبيراً درفوس أو ظهير فيقال

«عليها طول رقبتها» أي أن سنامها طويل، أو «عليها طول يدها»، كما يقال «الشحم بالبل يامطاريس الغنم». والنابية عندهم الطويلة السنام، وقولهم «ما يقطع القرم غير لحم الإبل». ويقال أيضا «مستحه ومدفدفه من الشحم» وذلك إذا زاد شحمها وبنى على الدفوف، ويسمى السنام النبي، والتي سنامها مائل تسمى العجفاء، ونابية السنام أي المرتفعة السنام. ويقال أيضا «شطها طول الذراع»، والشط السنام بعد ذبح الناقة. ويقال أيضا «دلخت» أي سمنت، ويقال لشحم سنام الجمل كتره أي رائحة الدهن حيث تكون له رائحة معينة عند الطبخ أو الشوي. ويقولون أيضا «ناقة جرمه» كبيرة الجرم أي ضخمة، والجرم الجسم. ويقال أيضا «ناقة جعيفه، هليمه أو هلامه» أي أنها ضعيفة وهزيلة جدا. ويقولون أيضا: عبط الناقة أي ذبحها (غرها) بدون علة (مرض).

وفي البادية يستخرجون من مرق اللحم دسمه ودهنه ويسمونه الصفو. ويسمى شحم الإبل المذاب الودك. وفي الشمال يصنعون من أمعاء (مصران) الإبل مرو وعكة. ويقومون في البادية بعمل القديد من لحم الإبل، ويسمونه في منطقة حائل الوشيق وفي المنطقة الوسطى قفر وفي الجنوب شريح، وهو عبارة عن تمليح اللحوم وتجفيفها دون أن تتعرض لضوء الشمس ويستخدم في الطبخ ويكون على هيئة قطع صغيرة ويسمى التثمير مقارنة له بثمرة نبات بري يضرب بثمرته المثل فيقال «أكبر من ثميره». والمضيره عند الشرارات هي لحم الحوار عند ولادته وطبخه وهو لا يستحب. ويضيف الشراري أن المضيرة عند العرب هي أن يطبخ اللحم باللبن البحت (الصريح) الذي قد حذى اللسان (حامض) حتى ينضج، والمضير هو الأقط، ويسمى في الجنوب المحرور (١٤١٢: ٩٦-١٠٠).

وبرها

لوبر الإبل قيمة اقتصادية مهمة، ففي تركيا وجنوبي غرب الاتحاد السوفيتي سابقاً يعطي الجمل من ٢ إلى ٣,٥ كجم من الوبر سنوياً. أما في الصحراء الكبرى فإن الجمال تجز لجمع وبرها أو يجمع عندما تطرحه من تلقاء أنفسها. وفي تونس تعطي الجمال الصغيرة سنوياً ٣ كجم من الوبر، أما البالغة منها فتعطي ٢كجم سنوياً. ويخلط البدو وبر الإبل مع صوف الماعز وينسجونه على هيئة خيوط طويلة لعمل بيوت الشعر. إضافة لذلك فإن وبر الإبل يستخدم لصنع الملابس والبطانيات والحبال والحقائب والخروج فضلاً عن صنع أدوات

النقل والأحزمة والفرش. وفي عام ١٩٣٨م صدر إلى بريطانيا أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ كجم من الوبر (Gauthier-Pilters, Hilda and Dagg, 1981).

وغني عن الذكر استخدام العرب وبر الإبل في صنع الأكسية والبيوت والمفارش وغيرها منذ أقدم العصور. وهذه المنتجات ما زالت حتى عصرنا هذا تستخدم وتصنع من وبر الإبل. ففي شمال المملكة وسوريا لا تزال تُصنع العبي والمشالح من وبر الإبل، وكذلك بيوت الشعر والمفارش وغيرها.

يذكر السويداء (١٤٠٧) أنهم يقولون «ناقة كثة الوبر» أي خشنته مع كثرته، ويقال «إبل مدفأة» أي كثيرة الوبر. ويضيف أن وبر الإبل أحد العناصر الثلاثة في النسيج؛ وهي وبر الإبل وصوف الضأن وشعر الماعز. وينسج من الوبر المنسوجات الوبرية الفاخرة الناعمة الزاهية ذات الألوان الجذابة. ويغزل على طريقتين، الغزل بالمغزل، وهو عمل تقوم به النساء، والنَّصْحُ على العود وهو ما يقوم به رعاة الإبل من الرجال حيث يبرم الراعي الوبر بخيط دقيق ويطويه على العود نفسه حتى يكّون منه خيطاً طويلاً يحوله إلى دُرْعَةٍ. ثم يدمجه مع خيط مماثل آخر فيكوّن منهما خيطاً واحداً طويلاً، وينسج من هذه الخيوط مستلزماته من الكساء، كجبة وجوارب وغطاء رأس وشملة للناقة وغير ذلك. وهذا العمل ينجزه الراعي خلال رعي إبله بالنهار،

وبر خشن

فيجمع بين رعي إبله وإنتاج عمل مفيد قوامه وبر إبله والعود الذي ينصح به.

ويصنع من وبر الإبل الكثير من أنواع النسيج وأهمها المشالح (العبي) الجيدة. ووبر الإبل على ثلاثة أنواع؛ وبر خشن، ووبر متوسط الخشونة، ووبر لين يقارب ليونة الحرير، وهذا النوع من الوبر يؤخذ من على جانبي السنام. كما يصنع من الوبر عُقُل الإبل، ويقال في المثل «البل يفتل من وبرها عقالها» (الحبردي ١٤٠٩: ١١٨).

أما البادية فتستخدم وبر الإبل في أغراض عدة، ويقولون في المثل «وبرها بالعدول» والعِدْل كيس كبير مصنوع من أصواف الغنم. ومعنى هذا المثل أن وبر الإبل كثير. ويقسم وبر الإبل من حيث جودته إلى أربعة أقسام: الوبر الناعم، والوبر الخشن، ووبر العرف، ووبر الفخذ والبطن. أما الوبر الناعم فيكون قصيراً، ورفيع الألياف، ومؤلفاً من أوبار وألياف وسطية مع وجود كمية ضئيلة من الشعر الخشن. ويتركز هذا النوع من الوبر على جذع البعير من الجانبين، وعلى جانبي الرقبة. والوبر الخشن يتألف من ألياف خشنة ومن الشعر الجاف، وتكون كمية الوبر الناعم فيه قليلة. ويتركز هذا النوع في أعلى العنق والمنطقة التي بين السنام والجذع. ووبر العُرف وهو أخشن من الوبر الذي في القسم الثاني

وبر الرّقبة

ويتركز في السنام. ثم وبر الفخذ والبطن وهو أخشن الأوبار.

ويجز البعير باركاً، جاء في أمثال العرب «لقي ما يلقى المنتوف باركاً» ذلك أن البعير ينتف وهو بارك، والنتف هو

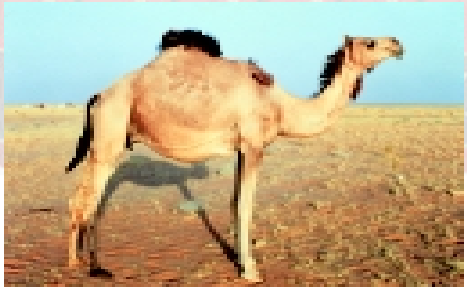

وبر العُرف

الجز. وبعد عملية الجز يفضل تغطية جلد الإبل بالزيت، أو الطين، كما يفعل بعض البادية أو بغير ذلك لكي تقي البعير من لسعات البرد ولفحات الشمس المحرقة.

جلودها

ذكر بعض الباحثين أن رجال البادية في الصحراء الكبرى لا يبيعون جلود إبلهم ولكنهم يستعملونها لصنع السروج والحبال والأوعية الجلدية (Gauthier-Pilters and Dagg, 1981).

وذكر السويداء (١٤١٢) أن الجلود معروفة بالفوائد التي تستعمل لها، وجلود الإبل لها عدة استخدامات؛ فما كان منها نيّئاً فيتخذ منه الْقِدُّ وهو ما يؤسر به الأشدة والأقتاب وغيرها وكان يتخذ كرباط للأسير، وقد ورد له ذكر في الشعر الجاهلي. وهو يؤدن في الماء حتى يلين ثم يربط به فيجف ويمسك بما ربط به. ومن جلود الإبل النيئة يتخذ السَّرِيْحُ وهو أحد حبلي الدَّلو.

ومن جلود الإبل المدبوغة تتخذ الْعِيَابُ واحدتها عيبة أو الْقِرَافُ واحدتها قرفه، وهي أوعية للأشياء والأطعمة الرطبة كالتمر وغيره. ومن جلود الإبل المدبوغة تتخذ حياض شرب الإبل، كما يتخذ منها بيوت السكن. كما تتخذ القباب من الأدم المدبوغ والمدهون، وكان النابغة الذبياني تتخذ له قبة من أدم في عكاظ يجلس فيها ويحكم بين الشعراء. ويتخذ منها الرُّوِيُّ واحدتها راوية وهي بمثابة القربة الكبيرة لنقل الماء، وتخرز منها الأحذية.

ويذكر الحبردي إن جلود الإبل تُصنع منها أنواع من القرب، أقواها وأمتنها تسمى الراوية. وكذلك تصنع منها الأحذية والأرشية (الحبال) الجلدية والدلاء والقلص. والحبال المصنوعة من جلود الإبل بعد برمها وتجفيفها تكون قوية ومتينة جداً وقد تصل إلى درجة عالية من التحمل والمتانة (١٤٠٩: ١٧٨).

وتصنع من جلود الإبل صناعات عديدة ذات أهمية لمعيشتهم، كالدلاء، وبعض العدد الحربية والأحذية، أما أكتافها (عظام الكتف) فقد كانت قديماً تستخدم للكتابة (الشراري ١٤١٢: ٩٦).

فضلاتها

يختلف بول الإبل، بصورة أو بأخرى، عن بول الثدييات الأخرى في محتوياته المختلفة. لذا كان العرب في السابق، وما يزالون حتى اليوم، يستخدمونه لعدة أغراض مختلفة. وذكر

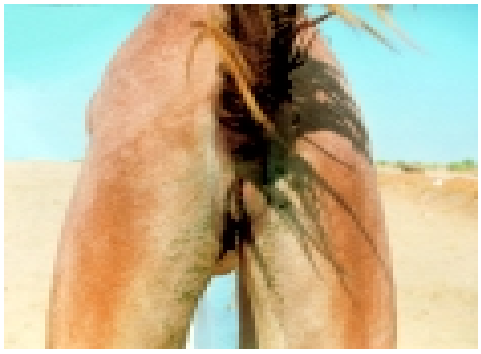

يستخدم بول الإبل علاجاً لبعض الأمراض

الحبردي أنهم في الماضي قبل وجود المطهرات الطبية يغسلون الجروح والقروح وينظفونها بأبوال البكار من النوق. إضافة لذلك فإنهم إذا أحسوا بخمول في الجسم أو آلام في الأمعاء فإنهم يشربون من أبوال وألبان الإبل، فيشفون من أمراضهم، ويتمضمضون بأبوال الإبل للقضاء على التهاب ووجع الأسنان. كما أن أصحاب الإبل يغسلون رؤوسهم وشعورهم بأبوال الإبل فينمو ويتكاثر الشعر ويشفى من أمراض قشرة الرأس، كما يفيد في قتل القمل. وإن أهل البادية يستنشقون أبوال الإبل كعلاج للزكام خاصة بول البكرة التي لم تلقح. إضافة لذلك فإنهم يخلطون بول البكرة التي لم تلقح مع لبن البكر (التي ولدت أول بطن) ويسمون هذا الخليط المقشورة فيشربونه كعلاج لأكثر من مرض. ويضيف أن غسل العيون ببول البكرة من النوق التي ترعى في الصحراء يقضي على كثير من التهابات العيون. ولعلاج القروح والجروح يقومون بخلط مادة الصبر مع بول البكرة ويوضع على الحفا والجروح فتشفى بإذن الله (١٤٠٩: ١١٩-١٢١).

ويقول الشراري:

ويَعُد بعض العرب من أهل البادية بول الإبل خير علاج للدمامل والجروح التي تظهر في جسم الإنسان ورأسه. كما يغسلون رؤوسهم ببول الإبل لإطالة الشعر، كذلك كانت البادية تعالج تشقق رؤوس الشعر بمشطه ببول الإبل، إضافة إلى أن بول الإبل يعطي الشعر لون شقرة، إضافة لذلك فإنهم يقومون بسقي المحموم (المورود) بول الإبل مخلوطاً مع أشياء أخرى، ربما لإزالة الحمى عنه... وإن بعض أهل البادية يقومون باستنشاق بول الإبل إذا كان بهم حساسية أو رشح ويفضلون لذلك أبوال الإبل التي رعت الحمض (١٤١٢: ١١٠-١١١).

إضافة لما تقدم فقد تواتر أن أفراد قبيلة الدواسر يستخدمون وزر (بول) البعير لعلاج الحمى المالطية خاصة إذا كان البعير يتغذى بأعشاب برية.

(بعر الإبل) استخداماته متعددة

أما بعر الإبل (دمنها) فيستخدم لعدة أغراض أهمها أنه وقود جيد للطبخ وغيره، ويسمى دمن الإبل جَلَّةْ، وكان يستخدم للوقود عند الحاجة حتى في المدن، إضافة إلى أنهم يقومون بطحنه ودقه ويستخدم كبودرة للأطفال حديثي الولادة حيث يوضع على الجهاز التناسلي قبل مهد الطفل ليمتص رطوبة بول الوليد.

منافع أخرى

أسهمت الإبل بدور حاسم في ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في شبه الجزيرة العربية منذ استئناسها قبل الميلاد، فغدت جزءاً لا يتجزأ من حياة أهل الجزيرة العربية، قبل إدخال التقنية الصناعية في النصف الثاني من القرن العشرين. ونقلت قوافل الإبل الناس والبضائع عبر الصحارى، بين المراكز المعزولة والزراعية في الواحات، وربطتها بالموانيء الساحلية ومدن الهلال الخصيب التي تقع إلى الشمال. وشجعت تجارة القوافل في التمور والكماليات بين جنوبي شبه الجزيرة العربية والبحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة، على نمو التجارة التي جمعت بين خليط من السكان، وتميزت بنظرة عالمية. وحظيت تلك المدن التجارية بحكومات تخطت النمط القبلي. وكانت الإبل وسيلة ناجحة للنقل عبر مسافات طويلة.

مكّن التطور في صناعة رحال الإبل والمعدات المتعلقة بها العربيَّ من وضع حمولات أكبر على ظهورها، كما جعل راكبها أكثر أمناً وطمأنينةً على متنها. فأضحت الإبل وسيلة ممتازة للقوة العسكرية بالإضافة إلى أنها مظهرٌ للقوة الاقتصادية؛ إذ كانت كالنقد في معاملاتهم المالية. وفي بعض أنحاء الشرق الأوسط استخدمت الإبل لحراثة الأرض وتشغيل مطاحن الحبوب وجر المركبات.

وبعد أن منَّ الله سبحانه وتعالى على البشرية بدين الإسلام كانت الإبل وسيلة لنقل الحجاج إلى البيت المعمور. واستمرت طرق الحج تؤدي مهمتها طوال تلك القرون على ظهور

الإبل، إلى جانب القوافل التجاريـة، بالإضافة إلى تجارة الإبل التي اشتهرت بها قبائل العقيلات بين وسط الجزيرة العربية (نجد) وكل من العراق والشام وفلسطين وغيرها. إضافة لما تقدم فقد لعبت الإبل دوراً فـي حروب المغفور له جلالة المـلك عبدالعزيـز آل سعود لتوحيد المملكة.

في الأغـراض الحربيـة والعسـكرية. كانـت الإبل هي الـوسيلة، وهـي في الوقت نفسه الغاية التي من أجلها قامت الحروب والغزوات بين القبائل العربية. ومن أهم الحروب المأساوية التي حدثت قبل الإسلام، حرب البسـوس بين بكر وتغلب وقد اسـتمرت أربعين سنة كما ثبت ذلك في المصادر التاريخية. وكـان سببها ناقة البسوس بـنت منقذ التميمية ولذلك قيل «أشأم من البسوس».

أما بعد الإسلام فقد خرج الفاتحون الـعرب الأوائـل علـى ظهـور إبلـهم

قوات الملك عبدالعزيز

وصهوات خيولهم لنشر الدين الإسلامي الحنيف في أرجاء المعمورة.

وقد ورد ذكر لكيفية استخدام العرب للإبل في إحدى حروبهم قبل الإسلام. ففي يوم شعب جبلة، وهو تحالف بني عامر وبني عبس ضد بني أسد وحنظلة وغطفان، في هذه المعركة أشار قيس بن زهير العبسي على قومه فقال: أدخلوا النعم في شعب جبلة ثم تظمأ الإبل هذه الأيام ولا تورد الماء، فإذا جاء القوم فإن لقيطاً، سيد تميم، فيه طيش وسيقتحم الجبل وحينئذ أخرجوا عليهم الإبل وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم، واخرجوا أنتم في آثارها واشفوا نفوسكم، فقال الأحوص بن عوف سيد بني عامر: نِعْمَ الرأي، وأمر الأحوص بالإبل التي قد ظمئت لفترة وقال: اعقلوا كل بعير بعقالين في يديه جميعاً بعدما صعدوا بها إلى عرض الجبل. وبعد ذلك قالت بنو عامر للأحوص: قد أتاك الأعداء فقال الأحوص: دعوهم حتى إذا نصفوا الجبل (وصلوا إلى منتصفه) وانتشروا فيه حلوا عُقُل الإبل، ثم احدروها (دعوها تتجه إلى أسفل الجبل) واتبعوا آثارها، وليتبع كل رجل منكم بعيره حجرين أو ثلاثة. ففعلوا ما أمرهم به ثم صاحوا بها فلم يفجأ الناس إلا والإبل تريد الماء والرعي، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنبل، وأقبلت الإبل على الأعداء تحطم كل شيء مرت به، وجعل البعير يدهدي (يدحرج) بيديه كذا وكذا حجراً، وكان لقيط بن زرارة، سيد تميم، وأصحابه قد سخروا منهم (من بني عامر) حين صنعوا بالإبل ما صنعوا. فانحط الناس منهزمين من الجبل إلى السهل، فلما بلغ الناس السهل لم يكن لأحد منهم همة إلا أن يذهب على وجهه لينجو، فجعل بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم فانهزموا شر هزيمة؛ فقال رجل من بني أسد:

زعمت أن العير لم تقاتل
بلى إذا تقعقع الرحائل
واختلف الهندي والذوابل
وقالت الأبطال من ينازل
بلى وفيها حسب ونائل

وقد استمر استخدام الإبل في مداهمة الأعداء لتحقيق غرضين: الغرض الأول شغل المحاربين في الجبهة المضادة وإرباك تنظيمهم، والغرض الثاني اتخاذها تقية (متاريس) للمحاربين الرامين بالنبال في القديم ثم بالأسلحة النارية في العصور المتأخرة. وقد حدث أن استخدمت هذه الطريقة في عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م عندما

عمدت إحدى فئات المحاربين إلى ربط أجسام تقرقع ولها صوت مثل الصفائح الفارغة والقرب (الشنان) في أذيال الإبل الخفيفة لتجفل من أصواتها وملامستها لعراقيبها ووجهوها نحو خصومهم، وعلى إثرها مباشرة دفعة ثانية من الإبل الرزينة وهم يتقون بها ويتخذها الرماة متاريس لهم ليتمكنوا من رماية أعدائهم عن قرب لتحقيق إصابات أكثر. واستمرت هذه العملية إلى عهد قريب.

وإضافة إلى هذا التكتيك الحربي كان لدى عرب الجزيرة في حروبهم تكتيك آخر يسمونه المناخ. ذكر السويداء استناداً إلى صورة مخطوطة كتاب تحفة المشتاق لعبد الله بن بسام أنَّ المناوخة اصطلاح حربي قديم، ويعني أن تعمد كل فئة من المتحاربين إلى إناخة ما معها من الإبل وحبسها وجها لوجه، ويتلاقى المتحاربون مخلفين إبلهم ومواشيهم خلفهم. ويكون ذلك في الغالب عندما تشتد الحرب بين الفريقين، وتسمى هذه العملية المناوخه. وعلى سبيل المثال لا الحصر، ففي سنة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م تناوخت عنزة والظفير على نفي، وأقاموا في مناخهم نحو عشرين يوماً. وفي سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م تناوخت عنزة والظفير مرة أخرى على الضلفعة بالقصيم. وفي سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م تناوخت عنزة والظفير مرة ثانية على وضاخ. وفي سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م تناوخ الفضول والدواسر في الخرج. وفي سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م تناوخت عنزة والظفير على الرس بالقصيم. وفي سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م تناوخ الدواسر ومعهم سبيع وعنزة على الحرملية. وفي سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م تناوخ الفضول والدواسر على مبايض، وغير ذلك كثير مما يفوق الحصر. والغرض من هذه المناوخة استخدام الإبل لأغراض حربية، وفي الوقت نفسه تكون مانعاً يستندون إليه ويدافعون عنه بأرواحهم. فتصبح الإبل وقاية لبيوتهم وذراريهم وأمتعتهم يمكن للخصوم أن يكتفوا بها في حالة هزيمة القوم، دون أن يصلوا إلى الممتلكات الأخرى.

كما استفادت الجيوش الحديثة من الإبل في تشكيل فرق الهجانة. ذكرت جوذير، وداج أن الفرنسيين عرفوا الإبل في نهاية القرن الثامن عشر أثناء حملتهم على مصر. فشكلوا فرقاً عسكرية من راكبي الإبل التي أحضروها من دول أخرى، إذ إن الإبل المستخدمة للركوب لم تكن معروفة آنذاك في مصر، كما جلبوا سروجها من السودان. وفي أول أمرهم جهزوا مئة بعير لغرض القتال،

الهجانة

وبعد فترة أصبح لديهم سبعمائة بعير لهذه الغاية، وكانت ملابس الجنود الفرنسيين المخصصين لركوب الإبل تشبه ملابس الفرسان، وكانت وحدات الإبل هذه، في الحقيقة، ما يطلق عليه اليوم الهجَّانة. وكان هدف الفرنسيين من إنشاء هذه الوحدات هو مساعدة الجيش الفرنسي الرسمي ضد فرسان المماليك في ذات الوقت.

كما أن الهجانة الفرنسيين استخدموا تكتيكاً مشابهاً لما كان يستخدم بواسطة المسلمين الأوائل، فكانت الإبل تبرك على شكل دائرة والفرسان منحنون خلفها حيث يقومون بإطلاق النار من فوق ظهور الإبل عند هجوم العدو عليهم. وقد استمر الفرنسيون في استخدام وحدات الهجانة لمدة عامين. وعندما عاد نابليون إلى باريس حمل معه جمله الخاص به ومنحه إلى حديقة الحيوان في باريس، وبعد موت الجمل تم تحنيطه، وكان يعرض في متحف باريس للتاريخ الطبيعي حتى عام ١٩٣٣م (Gauthier-Pilters, Hilda and Dagg 1981)

إضافة لما تقدم فقد استخدم الجنود الفرنسيون الإبل في عام ١٨٣٥م لنقل الإمدادات العسكرية في بداية احتلالهم للجزائر. وبعد فترة وجيزة تشكلت ثلاث شركات نقل بواسطة الإبل. وفي عام ١٨٤٤م كان لدى الفرنسيين أعداد كبيرة من الإبل معدة للحالات الطارئة. وقد اشتركت بعض الإبل في رحلة استكشافية مدتها ١١٠ أيام. وفي عام ١٨٥٢م استخدم الفرنسيون ١٥٠٠ بعير وحمار لنقل مواد لبناء منازل للقادة العسكريين الفرنسيين في واحات الجزائر، وكانت هذه بداية لبناء مساكن ومساجد في واحات أخرى.

وفي عام ١٨٨٣م شكل الإنجليز فيالق من الإبل في مصر والسودان اشتركت في العمليات العسكرية حتى عام ١٩٢١م. وهذا يوضح أن هناك أعداداً هائلة من الإبل قد ماتت بسبب الحروب، وبسبب عدم العناية بها. وأثناء الحرب الأفغانية الثانية (١٨٧٨/ ١٨٨٠م) خسر الإنجليز سبعين ألف جمل.

وتذكر المؤلفتان جوذير بلترز وداج إنه من عام ١٩٢٧م أصبح الهجانة هم فقط رجال الخيالة في الصحراء. ومن خلال هؤلاء البدو والقبائل الصحراوية تمكن الأوروبيون بالتدريج من الدخول في المجتمعات القبلية.

وبصورة عامة فإن إبل فرسان الهجانة تحتاج من ٦ إلى ٨ أشهر للراحة في كل عام، أما تلك الإبل التي استخدمت بصورة سيئة فإنها تحتاج لسنة كاملة من الراحة حتى تستعيد قوتها.

ووحدات الهجانة لا تزال قائمة حتى يومنا هذا في كلٍ من العراق وسوريا ومصر والجزيرة العربية والأردن وفلسطين المحتلة حيث تقوم بحماية الحدود ومراقبة ما يحدث من تهريب وغيره. ولكن استخدامها للأغراض العسكرية أصبح محدوداً.

يذكر العتيبي أنه يجب التمييز بين الهجانة كقطاع عسكري له كيان إداري مستقل، وبين الهجانة كوحدات صغيرة ملحقة بجهاز آخر تؤدي خدمات إدارية أو أمنية، وهو المتعارف عليه بين معظم سكان الجزيرة العربية والدول المجاورة لها. ويذكر أن الهجانة تنظيم عسكري قديم من أيام العثمانيين؛ فقد كانت لهم وحدات من الهجانة في معظم مناطق نفوذهم، وكانت وحدة الهجانة في الحجاز تقوم بالمهام الأمنية إلى جانب الوحدات العسكرية الأخرى. والهجانة التي أنشئت في عهد الملك عبد العزيز كقطاع عسكري بدأ تشكيله في الحجاز عام ١٣٤٤هـ من بقايا وحدات سابقة من عهد الأشراف، مضافاً إليها بعض القوات التي بقيت في الحجاز بعد انتهاء الحرب هناك، وأعيد تنظيمها وتوحيد قيادتها ثم ألغيت بعد فترة.

أما الهجانة كوحدات صغيرة، ملحقة بإدارة أخرى، فهي مجموعة من الجنود والموظفين اكتسبت هذا الاسم من الهجن التي كانت تستخدمها عندما تؤدي وظائف معينة مثل أعمال البريد والدوريات البرية التابعة للإمارات أو خفر السواحل التي تقوم بأعمال الدورية في المناطق التي يصعب على السيارات اجتيازها. وهذا النوع من الهجانة بقي إلى فترة قريبة من وقتنا الحاضر يعمل في الإمارات وسلاح الحدود وهو لا يرقى إلى مستوى القطاع العسكري.

والهجانة مزيج من التنظيم العسكري والتقاليد البدوية. فالتنظيم العسكري يتضح من أسماء الوظائف؛ جندي، عريف، ضابط، والتشكيلات مثل فصيل وسرية. أما التقاليد البدوية فتظهر في

لباس أفراد الهجانة ومواصلاتهم وهي الهجن وعدم انتظام التدريب العسكري. وكانت وحدات الهجانة تقوم بمهام عسكرية، فقد شاركت وحدات منها في الحملتين اللتين تولتا إخماد فتنة ابن رفادة عام ١٣٥١هـ وثورة الإدريسي في العام نفسه. وإلى جانب المهام القتالية للهجانة فقد أوكل إليها معظم الخدمات الأمنية في الحجاز، وبخاصة في مناطق البادية وخارج المدن، وعلى الطرق المؤدية إليها، كما تقوم بجلب المطلوبين من البادية والبحث عن الهاربين وتكافح التهريب؛ وذلك لأن تنظيم الهجانة أكثر ملاءمة لعادات المجتمع البدوي. وهذا ربما يفسر تفضيل الكثير من أبناء البادية الالتحاق بالهجانة دون غيرها من القوات العسكرية، على الرغم من أن مرتبات الهجانة كانت نصف مرتبات القوات النظامية.

وقد بلغ عدد أفراد الهجانة عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م اثني عشر ألفاً وخمسمائة فرد، ومائتين وخمسين ضابطاً. وهذا الرقم يمثل أكثر من ثلث القوات العسكرية العاملة في تلك الفترة.

وبعد أن تم تشكيل القوات النظامية والشرطة في مدن الحجاز الرئيسية والإمارات الحدودية مثل جيزان ونجران وعسير وتبوك والقريات وعرعر، وزعت سرايا الهجانة على معظم قرى الساحل الغربي للمملكة. وربطت كل وحدة بالحاكم الإداري في المنطقة التي تعمل فيها. وعندما يعين أمير على منطقة معينة فإنه يصطحب معه عدداً من جنود الهجانة المتمركزين في مكة المكرمة.

وبعد أن توسعت تشكيلات القوات النظامية والشرطة وخفر السواحل وباشرت هذه الأجهزة مهامها التي كانت الهجانة تقوم بجزء منها، قرر مجلس الوكلاء إلغاء تشكيلات الهجانة اعتباراً من نهاية صفر ١٣٥٤هـ. ووزعت وحداتها على القطاعات العسكرية، فألحق ستمائة هجان بالشرطة، وأربعمائة ضموا إلى الجيش، وأضيف أربعمائة وسبعون للأمراء في الملحقات. أما الباقون فأعيد تشكيلهم تحت اسم ألوية الجهاد، وبذلك انتهت تشكيلات الهجانة (العتيبي١٤١٢).

في الأغراض السلمية. كانت الإبل في الجزيرة العربية منذ فترة ما قبل الإسلام وحتى عهد قريب بمثابة العملة، يتقاضون بها ويقدرون بها أثمان مهورهم ودياتهم وعتادهم ونعمهم وسائر معاملاتهم. ويسوقونها (يدفعونها) في الحمالات والمغارم، وفي الأثر «لا تسبوا الإبل فإن فيها رُقوء الدم» يعني أنها تقدم في الديات

فتحقن بهـا الدماء. والإبل من هباتهم السنية، وهي غايـة ما يتمدحون به في العطاء الجزل، قال شاعرهم:

أعـطوا هـنيـدة يـحدوهـا ثـمانـية
مـا فـي عطـائـهـم مَنٌّ ولا سـرف

والهنيدة هي المئتان من الإبل والثمانية رعاتها.

وقال الآخر:

الـواهـب المـائـة الأبـكـار زيَّـنهـا
سعـدان توضـح في أوبـارها اللّـبد

وكانت العرب، ومنذ العهود القديمة وحتى قبل حوالي نصف قرن من الزمن، تسـوق (تدفع) من الإبـل ديات القتـلى والعقائل والحمالات، وأيضاً مهور النساء. يقول جواد عـلي «وقد كان الجمل مقام النقد أي مقام الدينار والدرهم في الغالب، فبعدد من الإبل يقدَّر مَهْر الفتاة، وبعدد من الإبـل تُفَضُّ الـديات والخصـومات وهكذا يتعامل به كما نتعامل اليوم بالنقد» (١٩٦٨، ج١: ١٩٧). وقـد ورد فـي اللسان أن الشنق هو ما دون الدية، وذلك أن يسوق ذو الحمالة مئة من الإبل، وهي الديـة كاملـة، فإذا كـانت معـها ديات جراحات لا تبلغ الدية فتلك هي الأشناق. وكانوا يـدفعون في الـشنق الأسفل فـي الديات عشرين ابنة مخاض، أما في الشنق الأعلى فيدفعون عشرين جذعة.

وأورد أبو سويـلم (١٩٨٣) نقلاً عن التكملة والذيل والـصلة أن الإبل كانت أعلى مـا يدفع مهراً للحرائـر، وفي وصية لأكثم بن صيفي كتب بها إلى طيّئ «لا تسبوا الإبل، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حـقها فإنها مهر الكريمة، ورقوء الدم، وبألبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير، ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت». وكان بعض الآبـاء يغـالون فـي مهـور بـناتـهم الجميـلات، كما أن بعـض الخاطبين يغرون آباء الفتيات بأعداد ضخمة من الإبل يسوقونـها مهراً. وهذا أحدهم يحذر ابنة عـمه من أن تتزوج بحقير جبان وإن قدم مهراً مـغرياً ستين ناقة سمينة ومعها عبيدها ورعاتها:

ولا تـقربـي يـابنـت عـمي بـوهـة
مـن القـوم دفـناسـاً غـبيـاً مـفنـدا
وإن كـان أعطـى رأس ستـين بكـرة
وحكـماً عـلى حكـم وعبـداً مولدا
ألا فـاحذري لا تـوردنـك هجـمـة
طوال الذرى جـبساً من القوم قـعددا

ويقول الشاعر الشعبي:

ومنـهن من تـرخص بتـسعين بكـره
ومـنهـن مـن تغـلـى بقـيد قـعـود

ومما كـانوا يرددونـه في الحداء في الإعلاء من شأن الإبل قولهم:

ياشمّخ العشاير
يامجوّزات البايـر

وذكر السويداء العديد من الصور المتكررة لآباء يغالون في مهور بناتهم كأداة تعجيز لمن يخطبونهنَّ من الأقارب. فإذا كان والد الفتاة لا يريد تزويج ابن أخيه، اشترط عليه سياقاً لابنته مائة ناقة أو مائة بعير كما فعل عم الصمة بن عبدالله القشيري وغيره، وقد استمر هذا الوضع منذ ذلك الوقت إلى أمد قريب في عشر الستينيات من القرن الهجري المنصرم حينما كان يشترط من مهر المرأة جملاً أو ناقة تسمى سنينه عند سكان البادية وسكان الأرياف. وقد يشترط ولي الأمر جملاً بعينه أو ناقة بعينها لتكون سنينة تلك الفتاة أو المرأة. والشواهد على ذلك كثيرة مثلما طلبت امرأة من الشاعر خلف أبو زويد أن يسوق عليها ناقته المعلومة فأجابها بقوله:

وافاطري يازينة الفخذ والساق
ما اسوق شقراي بْعَذيّ الوصوفِ

أو كما قال رشيد بن دخيل الله الفوزان عندما رفض نسيبه أن يقبل تلك الناقة التي أرسلها إليه وأصر على ناقة أخرى فأجابه بقوله:

ديه عيا يقبلك يالهديّه
شرهٍ على ناقة فريح المعاشي

أو كما قال رجل طلب منه أحد جماعته أن يسوق ناقته المعلومة ليزوج ابنته لابن ذلك الرجل، فقال هذا الرجل في قصة معروفة محاولا إقناع ابنه بالعدول عن تلك الفتاة بعد أن جرب نجابة تلك الناقة المثمنة موجها كلامه لابنه:

لى صرت بالصمّان والقيظ حاديك
أيّا حسين الدل وايّا المطيّه

فرد عليه ابنه مفندا رأيه بقوله:

الله كريمٍ ما ومر بالتهاليك
ولا ومر بِفْراق صاف الثنيه
لى صرت بايام الرخا عند اهاليك
شوفة حسين الدل تسوى المطيه

(٢٧٥:١٤١٣).

واستفاد عرب الجزيرة من الإبل في أعمال الزراعة، خاصة عملية السني. والسانية واحدة السواني وهي النواضح (الإبل) التي يخرج عليها الماء بواسطة الغْرُوب (جمع غَرْب وهو الدلو الكبيرة) من أعماق الآبار؛ وهي من استخدامات الإبل الرئيسية، وتأتي على نمطين؛ الأول استخدام الإبل للسني لإخراج الماء لري المزارع وبساتين النخيل، وهذه تخرج الغروب وتسكب الماء ذاتياً وفق مقاييس معينة في حبلي الغرب (الرشا والمقاط)، والنمط الثاني السانية التي تخرج الماء من البئر لسقي المواشي من رعايا الإبل وقطعان

الأغنام، بدلاً من متح الماء بكميات قليلة على أيدي الرجال. ويتطلب هذا النوع أن يكون قرب فم البئر رجل آخر غير الذي يسوق البعير يتلقى الدلو ويسكب محتواها من الماء في حوض تشرب منه الإبل، أو في بركة يجري منها ينبوع هذا الماء فترتوي منه هذه الأنعام، وقد استمرت الطريقتان منذ أمد بعيد، حتى بدأت عملية مكننة الزراعة والري قبل حوالي ٤٥-٥٠ سنة من الآن. وقد حفل الشعر العربي والشعبي بذكر عملية السني والأدوات المستخدمة فيها؛ يقول المخبل السعدي:

فكأن عيني غرب أدهم داجن
متعود الإقبال والإدبار

والداجن البعير الساقي أي الذي يستقى عليه. وقال البحتري:

وتأتي الدلو ملأى بعد وَهْيٍ
من الأوذام فيها والعراقي

والأوذام السيور أو حبال الليف الدقيقة تربط العراقي بين آذان الدلو، والعراقي خشبتان تعرضان على فوهة الدلو العليا المفتوحة كالصليب. وقال أبو تمام:

ولا تقل إننا من نبعة فلقد
بانت نجائب إبل من نواضحها

والنواضح الإبل التي يستقى عليها، وهي أقل منزلة من النجائب. وقال بشر بن أبي خازم الأسدي:

السّني

بـضـرب ومربـوع وعـود تـقـيمـه
مـحـالة خـطـاف تـصر ثـقـوبـها

المربوع الحبل يفتل على أربع قوى، والعَوْد البعـير المسن، والمحالة البكرة، والخطاف الحديدة التي تدور عليها البكرة. وقد وصف الشاعر العربي القديم زهير بن أبي سلمى عـملية السقي أو السني بواسطة البعير بالتفصيل تقريباً حيث قال:

لـهـا مـتـاع وأعـوان غـدون بـه
قتـب وغرب إذا مـا أفرغ انـسحـقا
وخلـفهـا سائق يـحدو إذا خشـيت
منـه اللـحاق تمد الـصلب والـعنـقا
وقـابـل يـتـغـنـى كـلـمـا قـدرت
عـلى الـعـراقي يـداه قـائمـاً دفقـا
يـحيـل في جـدول تحبـو ضفـادعه
حبـو الجواري تـرى في مائـه نطـقا

والقتب أداة الناقة المستسقى عليها، وانسحق يـعني مضى وسال مـنه الماء، والصلب الظـهر، وقابل أي ولها قابل يقبل الدلو، أي يتلقاها ويأخذها فيصب ما فيهـا، وهو يتغنى عنـد فعله لذلك فتطرب الناقة وتسرع، وقدرت: وصلت الدلو إليه وقبضت، ودفق أي صب الدلو في الجدول، ويحيل: يصب ماء الغرب، وحبو الجواري هو وثب الجواري أي أن الضفادع تثب (تنط) كما تفعل الجواري، والصبيان إذا لعبوا، والنطق هي الطرائق التي تعلو فوق الماء، وقد شبهها الشاعر بجمع النطاق لأنها درجات يعلو بعضها بعضـاً، وإنما يكون ذلك مع كـثرة الماء وهبوب الريح عليه.

وقد ورد في الـتراث العربي أمثـالٌ عديدة لها علاقة باستخدام الإبل للسقي. ومن الملاحـظ أن العرب كانـوا يتألمون للإبل من جراء السني عليها، ويرون أن ذلك لا يـليق بـها، ولكـن للضـرورة أحكام. وقد قيلت الكـثير من الأشعار التي تتألم لوضع البعير في مجر السني، وقيل مثل ذلك في الأمثال، نحو قولهم «أذل من بعير ساقية» وهو البعير المستخدم للسقي، وقولهـم أيضا «التمر في البئر وعلى ظهر الجمل» أي من سقـى زرعه باستخدام البعير وجد نتيجة عمله أو سقيه في كثرة تمره.

وللسـانية من النمـط الأول، الذي تقدم ذكره، عدة أدوات لإخراج الماء من البئر منها القتب بحباله، والمرشحة. أما الْقَتَـب فهو جهاز مـكون من عدد من الأجزاء لـه أربع ظلاف مصـنوعة مـن الخشب بما يتناسب ومكانه على غارب البعير، وله عصوان في أعلاه يثبت في طرفيهما الأماميـين طرفا حبل الْكِدَانْ، وعصوان في أسفل الضلفتين (الزوافر، واحدتها زافرة)، يمنعان ضـلفتي القتب

السّني

عن الحركة والتضعضع عند حمل البعير للدلو الملآنة. والبادية تسني بالمسانة، وتسميها الكَتَبْ والمسامه. ويثبت القتب على غارب البعير بعدد من الحبال كالسِّنَاف، وهو حبل من عدة حبال ملفوف عليها قماش ومصفوفة بعضها بجانب بعض، منسوجة بحبل من الليف يمسك بينها بحيث تكون عريضة يتراوح عرضها من ٥-١٠ سم تقريباً حتى لا تؤذي صدر البعير وأسفل رقبته، ووظيفة السناف تثبيت القتب على غارب البعير من الناحية الأمامية عند حمل البعير للدلو، ويثبت أحد طرفي السناف بالقتب والطرف الآخر يقرن بزرار خاص بنفس القتب، وموضع السناف من فوق لوحي كتفي البعير، ويلف على أسفل رقبة البعير ونحره من موضع المنحر.

ومن حبال القتب أيضاً الْبِطَان وهو حبل مثل السناف من عدة حبال بعرض ٥-١٠ سم تقريباً، له عروتان إحداهما مثبتة بعصا القتب العلوية، والأخرى تشد على القتب من الجانب الثاني بعد أن يلف الحبل على أسفل صدر البعير وأعلى بطنه. ويشد عليه بحبل قصير مجدول من الليف يسمى المشد أو المشدة. والغرض من البطان هو تثبيت القتب على ظهر البعير رأسياً، وموضع البطان في أسفل الصدر وأعلى بطن البعير مما

جمل السّانية، وعليه أدوات السّني

يلي كركرة الزور مباشرة. ومنها اللبب، وهو مثل البطان، إلاّ أنه يكون محاطاً بلبة السانية حتى لا يتأخر القتب عن محله إذا جُذبت الغرب المحملة بالماء. وربما وضع زوار وهو مثل البطان واللبب إلاّ أنه يكون بين البركة (السعدانة) وذراعي السانية حتى يزيد القتب ثباتاً على ظهر السانية. ومنها الْكِدَان، وهو حبل من ثلاث أو أربع قوى (بتوت) ملفوف عليها شرائح من القد، مجدولة بعضها مع بعض جدلاً محكماً، وفي طرفه مما يلي القتب عروتان يثبتان بطرفي عصوي القتب من الجهة الأمامية. ويأتيان من تحت العصا في الجهة التي يستوي عليها سني البعير من اليمين أو الشمال. وفي طرفه مما يلي الرشا زر غليظ يثبت به عروة الرشا عند بدء عملية السني. هذا فيما يختص بالإبل لأنه لو جاء من تحت القتب لآذى سنام البعير وربما لحه وجرحه؛ ولذلك يأتي من بين الظلفة الأمامية والخلفية على اتجاه واحد.

وأما الْمِرْشَحَة فمن أدوات السانية، ويقال لها بدّة أو وثار بالنسبة للإبل، وهي من نسيج الصوف من ثلاث أو أربع طبقات محشو ما بينها بالليف، ومبطنة مما يلي ظهر البعير بنسيج ناعم حتى لا تؤذي جلد البعير، وحجمها على مقدار القتب أو تزيد عنه قليلاً بمقدار ١٠سم من كل اتجاه،

جمل السّانية، وعليه أدوات السني

قوافل السفر والانتقال عبر الصحراء

والغرض منها وقاية ظهر البعير من تأثير ظلاف القتب المصنوع من الخشب. وسميت مرشحة لأنها ترشح العرق وتمتصه من ظهر البعير أثناء تعبه خلال عملية السني (السويداء ١٩٨٣).

واعتمد عرب الجزيرة اعتمادا أساسيا على الإبل في أسفارهم وتنقلاتهم حيث نجد كتب الأدب والتاريخ تزخر بالحديث عن القوافل التي كانت تذرع الجزيرة العربية في طرق معروفة، محملة بوسوق البر والشعير والبهارات والثياب والسيوف الهندية أو اليمنية أو الرومية، والرماح السمهرية أو الخطية والقسي العصفورية والدروع الفارسية أو السلجوقية. وذكر الطبري أن عير قريش بلغت خمسمائة بعير، وألفين ومائة رجل. وذكر أيضا أن قافلة بلغت خمسمائة بعير وألفاً؛ ولذلك عيّر أحد الشعراء قريشاً

قافلة تجارية

لانشغالهم عن المجد والشعر بالتجارة فقال:

ألهى قريشاً عن المجد السفاسير

وقولها: رحلتْ عيرٌ، أَتَتْ عِيرُ

وقد وصف بعض الشعراء إبل الميرة وإبل الغيار، وهي ما يعرف باسم العير، وسموا أحياناً الإبل بحمولتها اللطيمة وهي العير التي يحمل عليها المسك والعطر والبر، والعسجدية هي العير التي تحمل الذهب والمال، والريذجان الإبل التي تحمل حمولة التجارة.

وكان استخدام الإبل في حمل الأثقال عبر الصحراء وفي القوافل، منذ عهود موغلة في القدم. وكان أشهر درب صحراوي للجمال هو درب الأربعين، الذي يمتد من الفاشر في غرب السودان في رحلة طويلة عبر الصحراء وعلى ضفاف النيل في مسيرة أربعين يوماً إلى مصر.

وقد استعمل البعير لحمل العديد من البضائع من جنوب أفريقيا إلى شمالها، كالعاج وريش النعام والصمغ العربي وجلود وأصواف الحيوانات.

ومع ازدهار تجارة الذهب في القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين اشتهر درب يعبر موريتانيا ومراكش إلى نهر النيجر حيث توجد بعض الدول الأفريقية

نقل الحطب للوقود

الغنية مثل غانا ومالي. وكان كل جمل يحمل ما يوازي ١٤٠كجم من الذهب في أكياس جلدية. ومع ازدهار تجارة الذهب في أفريقيا انتعشت دول أفريقية عديدة؛ ففي غانا كثر الذهب حتى إنَّ ملك البلاد كان يسمى ملك الذهب وكانت تلبس كلابه الخاصة أطواقاً من الذهب. وعندما نوى ملك مالي الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة، حمل معه على ظهور الإبل في قافلة كبيرة ما يوازي عشرة أطنان من الذهب الصافي.

وتعد دروب الحجيج من أشهر دروب الإبل، وقد عبر ملايين البشر عبر القرون هذه الدروب ليصلوا إلى البيت العتيق. ومن أشهر هذه الدروب طريق الحج الكوفي وطريق الحج البصري اللذين أقامت السيدة زبيدة بنت جعفر عليهما البرك والمصانع وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. ويخدم الطريقان حجاج العراق وفارس وخراسان ومنطقة ما وراء النهرين. بالإضافة إلى طريق الحج الشامي الذي ينطلق من دمشق، وطريق الحج اليمني الذي ينطلق من صنعاء، ودرب الحج المصري وقوافل الحجاج أو ما يسمى بالمحمل وغيرها.

قوافل الحجاج

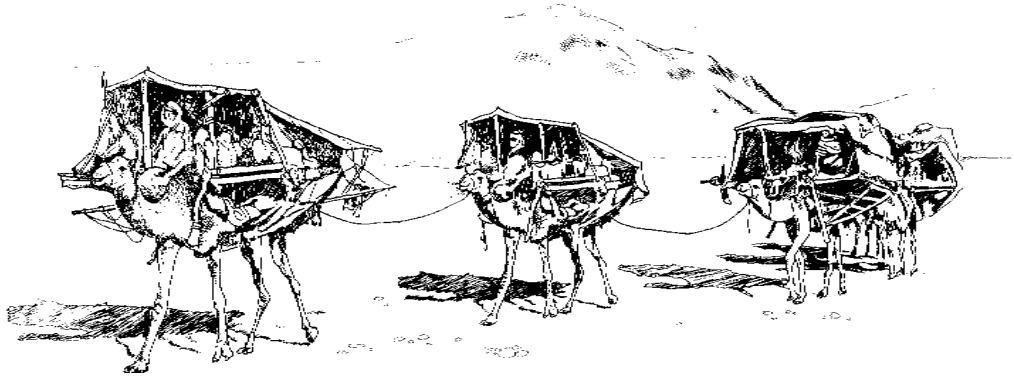

قوافل الحجاج

وتمر تلك الدروب عبر أراضٍ عرفت بتضاريسها المختلفة من عروق رملية وأراض صخرية وسبخات وسهول وأودية وعقاب، لا تستطيع قطعها إلا الإبل، علاوة على طول المسافات ولفح الهواجر ووطأة الظمأ وغيرها من ظروف ذلك الزمان وقسوة تلك البيئة التي لم يصمد لها إلا الجمل، سفينة الصحراء. هذا وقد وردت تلك الطرق مفصلة بمراحلها ومنازلها ومعالمها في مجلدي الآثار والمواقع من هذه الموسوعة. وسنفرد هنا أيضاً فصلاً خاصاً برحلات القوافل.

ولعله من الطريف أن نشير هنا، ولو باختصار، إلى الدور الذي لعبته الإبل في الاستكشافات العلمية. فقد أظهرت الرحلات الاستكشافية والعلمية وغيرها من الرحلات عبر الصحراء، الدور المهم الذي يتميز به البعير عن غيره من وسائل النقل، خاصة الميكانيكية منها. فالعلماء يستطيعون الوصول إلى أي مكان يريدونه على ظهر البعير دون أن يحدث له عطل أو خلل. إضافة لذلك فالبعير له القدرة على منح نفسه الطاقة بما يأكله من النباتات والأعشاب التي تصادفه، كما أنه يعطي العلماء الفرصة والوقت الكافيين للتعرف وفحص ما يحيط بهم عن قرب من نبات وحيوان أو أثر أو أداة من أدوات ما قبل التاريخ مرمية هنا أو هناك أو قد جرفت بواسطة السيول أو غيرها. ومثل هذه الأشياء لا يمكن رؤيتها أو معرفتها لمن يركب عربة مثلاً. إضافة لذلك فقد منح البعير العلماء الفرصة في مشاركة بدو الصحاري معيشتهم ومعرفة أنماط حياتهم المختلفة، ومثل هذه المعرفة لا تتاح للعلماء الآخرين المستخدمين للعربات.

وقد قامت الإبل بدور فعّـال في أعمال المسح الجغرافي التي غطت أرجاء واسعة من المملكـة، وكانت الوسيلة الوحـيدة لرحـلات المستـكشفـين والرحالـة من المستشرقين الذين جابوا صحراء الجزيرة العربية. هذا بالإضافة إلى دورها الكبير في رحلات الجيولـوجيين والمنقبين عن النفط، وامـتد هذا الدور بعد اكتـشاف النفط وتمثل في نقل المعدات والتجهيزات وضروريات العيش والعـمل في مناطق عرفت بوعورتـها وفي وقت كانت فيه السيارات في قلة عدد وضـعف كفاءة، فكانت الإبل تقوم بدورها خير قيام.

ويذكر ويـلسون أن الإبل الموجودة في القارة الأسترالية لعبت دوراً مهماً في تطور أستراليا، خصوصاً في تطور ونمو اقتصادياتها الحديثة. ومن المستغرب أن الإبل هناك لم تستخدم على أنها مصدر للحوم أو الحليب أو كحيوانات تستخدم في المجالات الـزراعية كالحراثـة مثلاً، ولكـنهـا استخـدمت لجمـيع الأشـياء الأخرى. وفي هذا الصدد يذكر ويلسون أنه إضافة لاستخدام الإبل في رحلات العمليات الاستكشافية في بداية الأمر، فقد استخدم البـعير، وحتى فترة قريبة من وقتـنا الحاضر، في نقـل العوارض الخشبية المستخدمة لمد السكك الحديدية، وحمل الأسلاك والأعمدة لمد الهواتف. (Wilson 1984). وهذا مـا حدث تمامـاً في المملكة حينما دخلت خدمة الهاتف والتي كانت تقوم أساساً عـلى الأسلاك والأعمدة فكان لـلإبل دور أساسي في نقل هـذه المواد من الموانـئ إلى أماكن استخدامـها. كما وفرت البادية وإبـلها مصدراً مهماً من مصادر العمالة البشرية ووسائل النقل حينما قامت سكة حديد الحجاز.

وختاما بقي أن نشير إلى دور الإبل في الرياضة. عرف العرب الأوائل نوعين من الـرياضة عـلى الإبل همـا الصيـد والسباق، وليس هناك ما يدل على أنهم استخدموا الإبل في ملاحقة الطرائد لأن الجوارح والخيول كانت تقوم بهذه المهمة، لكن الإبل استخدمت وسيلة يستتر بهـا الصيادون فيختلون الطرائد، وتسمى الناقة التي يُستتر بها عن الصيد بالقيدة والسيقة والمِسوق والدريئة والذريعة والسدّ.

وفي وقتـنا الحاضر، ومـع انحسار بعض الوظائف المهمة السابقة للإبل، يقام في المملكة الـعربية السعودية كل عام، ومنذ سـنوات طويلة وضمـن المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الجنادرية (قرب مدينة الـرياض عاصمة المـملكة) سباق وطني كبير للهجن من كافة أنحاء المملكة

سباق الهجن

سباق الهجن

ومن دول الخليج العربي والسودان، ويستمر لمدة يومين على الأقل، ويرصد للفائزين فيه عدد كبير من الجوائز النقدية والعينية القيمة. كما تقام سباقات بالطائف في أشهر الصيف تستمر مدة ثمانية أسابيع، ويشارك فيها عدد كبير من أبناء الخليج. ويعتبر هذا السباق تراثاً وطنياً ضخماً حيث يجري له الاستعداد قبل موعده بعدة شهور، ويحضره عدد غفير من المواطنين والوافدين. ويعتبر هذا المهرجان إحياء واستمراراً لتقليد عربي قديم أوشك على الاندثار تحت ظروف المدنية الحديثة.

إضافة لما تقدم فقد أخذت بعض الدول المجاورة فكرة هذا المهرجان حيث يقام سباق هجن في دولة الإمارات المتحدة إضافة إلى أن مثل هذا السباق يحدث في قارة أستراليا.